

الفكر السياسي الأستراتيجي عند افلاطون والفارابي دراسة مقارنة في آراء تأسيس المدينة الفاضلة

د. ايناس ضياء مهدي (*)

المقدمة

تمثل الآراء الفكرية الإستراتيجية لكل من افلاطون والفارابي في موضوع تأسيس مدينة مثالية من اولى إلراء التي حظيت بإهتمام الباحثين في العلوم السياسية خاصة في مجال الفكر السياسي الإستراتيجي ، إذ مثلت إنطلاقة واعية في ميدان بناء دولة تقوم على أساس المعرفة والعدالة كما تم وضع مواصفات خاصة لبناء الدولة بدأت من إلاس العملية لإختيار القادة الإستراتيجيين وأمتدت لتشمل أسس تنشئة الأفراد وإنواع العلوم التي يتلقونها كما وتم طرح الخصائص الجغرافية وهندسة بناء المدينة وتحصينها .ورغم إنعدام تطابق الزمان والمكان لدى كل من افلاطون والفارابي إلا إن الإخير طابقت أفكاره أفكار افلاطون في العديد من القضايا وقد أضاف بدوره طابعا إستراتيجيا يعد نادرا من نوعه حول إلالية آتي يمكن إن تعتمد في تأسيس الدول.

قدم افلاطون تصورا طوباويا لإنشاء جمهورية تمتاز بخصائص العلم والعدل ، وتحمل ملامح سياسة مثالية تقوم على إعتبار الاخلاق قيمة عليا في بناء الإنسبان والمجتمع ،وأشار إليالاسس والمنطلقات النظرية لبناء الدولة في كتابه جمهورية افلاطون . وبعد مدة من الزمن أعاد أبو نصر الفارابي المفكر العربي إلاس العامة في بناء النظرية آتي أسماها المدينة الفاضلة والمستوحاة اصلا من الفكر الإستراتيجي المثالي لإفلاطون.

يهدف البحث الى دراسة الفكرين السياسيين الأستراتيجيين لكل من افلاطون والفارابي ووجهة نظر كل منهما في بناء الدولة المثالية.ويطرح اهم خصائص الواجب توفرها الحكام وطرق اختيارهم لدى كل من المفكرين كما يتعرض البحث الى التصورات الجغرافية وخصائص السكان واهم المقومات التي يمتلكوها ضمن خصائص تربوية وعلمية مثالية.

ينطلق البحث من فرضية مفادها (ان التركيز على خصائص البناء السياسي والثقافي القائم على الالاس العقلية والعلمية الفلسفية يؤدي الى تكوين مجتمع مثالي وبالتالي الى بناء دولة مثالية).

ولاثبات صحة الفرضية تمت الاستعانة بمناهج البحث العلمي في العلوم السياسية اذ تمت الاستعانة بالمنهج التحليلي في تحليل المقولات الفلسفية لكل من افلاطون والفارابي كما تم استخدام المنهج التاريخي لقراءة احداث عصر المفكرين فضلا عن المنهج المقارن في مقارنة افكار المفكرين لتحقيق غاية انشاء الدولة الفاضلة.

يتكون البحث من مبحثين: المبحث الأول يدرس منطلقات إفلاطون في بناء جمهوريته بدءاً بحياته وعصره ثم نظريته وآليات تطبيقها. أما المبحث الثاني فيدرس منطلقات الفارابي في بناء مدينته الفاضلة أيضاً من خلال مراجعة واقع حياته وعصره ونظريته وآليات تطبيقها. ثم يتم تلخيص ماجاء في متن البحث خلال جملة من الاستنتاجات التي سترد في نهاية البحث .

المبحث الأول جمهورية إفلاطون

يتضمن المبحث ثلاث فقرات رئيسة الأولى هي نشأة إفلاطون والظروف السياسية لعصره والثانية هي ملامح فكره السياسي الإستراتيجي والثالثة هي إلامس لإستراتيجية لنشأة الجمهورية.

أولاً: نشأة إفلاطون والظروف السياسية لعصره

إفلاطون فيلسوف سياسي يوناني عاش بين عامي (-) م. سليل أسرة عريقة بالشرف والجد السياسي والاجتماعي، مارس نظم الشعر وتأليف المسرحيات ونبغ في الرياضيات والبلاغة والموسيقى ودرس الفلسفة وشارك في الحروب البلوبونيزية عام م، ونال جائزة لشجاعته، يضاف الى ذلك سفراته ورحلاته لطلب العلم والمعرفة ومنها ذهابه الى مصر والى جنوب ايطاليا، والمرارة النفسية التي ذاقها عند إعدام استاذة سقراط (-) م. بدوافع سياسية وليست فكرية. واسر ويبيع في سوق صقلية لسبب سياسي. (مزبان، .) () . ترعرع إفلاطون خلال الثلاثين عاماً من الحرب البلوبونيزية التي انتهت في خاتمتها إسبارطة على أئينا كما إن الديمقراطية الإثينية قد وضعت على المحك التجربة بوصفها صيغة فاعلة للحكم وقد أثرت الظروف السياسية في تشكيل حياة إفلاطون وعمله بثلاث طرق: (سباين،)
(- وفاة أستاذة سقراط ألدنيادين في العام -... من قبل قادة حكام أئينا بسبب آراءه الفلسفية.

وكانت تلك المناسبة هي التي دفعت إفلاطون لإختيار المنفى بعيداً عن أئينا لمدة إثنا عشر عاماً وقد عاد الأئينا في العام

- إن الإلحاحات الواردة اعلاه المهتمه رفض الديمقراطية والبحث العقلي عن الشكل الإمثل للحكم والسلوك الشخصي . ولدى عودته الأئينا قام إفلاطون بتأسيس مدرسة أكاديمية خاصة وألقى محاضراته هناك فيما بقى من حياته العملية.

ثانياً: آراءه السياسية

خلقت تلك الامور والقضايا عند إفلاطون رؤية فلسفية مميزة قدم من خلالها حلاً مثالياً لمشكلة السياسة داخل المدينة أو الدولة الفاضلة وبما إن الفيلسوف يحيا فقط بهذا النوع من المدن وليس في مضادا . وطالما كانت الحياة السياسية عبر كل العصور فيها شرور وبطش وفساد لذا فقد شيد إفلاطون جمهوريته النظرية القائمة على أسس العلم والمعرفة والحكومة بقيادة العقل والفلسفة فحسب. (الإهواني، : : .)

ولفهم التركيبة الفكرية السياسية عند إفلاطون لابد أولاً من فهم التركيبة الاخلاقية لأنها متضمنة ومتداخلة فيها فليست السياسة أكثر من امتداد طبيعي للأخلاق وهذا النهج الذي اتبعه إفلاطون قد سار عليه كذلك تلميذه أرسطو طاليس (-) .م ومعظم الفلاسفة وكذلك كان إفلاطون يدحض مزاعم السفستائيين القائلين بإنكار قوانين الأخلاق وقوانين الدولة بدعوى أنها من اختراع الضعفاء من أجل حماية أنفسهم فالسلطة حسب رأيهم إن هي إلا حق شرعي لا قوى دائماً بينما ينص إفلاطون إن إحراز السلطة يكون بقوة العقل لا بقوة الغما الوحشية وهذا الرد رفع أكثر من شأن السياسة كونها علماً متصلاً بالأخلاق وقوانينها. (إلاهواني، المصدر السابق، ص ١٠٠).

وحول فكرة الديمقراطية "ربط إفلاطون بين المصائب وبين النظام الديمقراطي وأكد أنها لن تتوقف طالما استمر النظام الذي يقوم على الجهل والأنانية والضعف والإضطرابات وعدم الكفاءة والسلبية والرشوة واحتقار المبادئ والمسأوة بين غير المتساويين وغيرها من الصفات الشريفة التي تزدهر في هذا النظام" (هامرتن، بلا تاريخ: :). لذا فقد "عارض بصراحة وقوة النظام الديمقراطي - كما عرفته أئينا - ووصفه بأنه غير أخلاقي وجرده من وصف النظام السياسي حين إعتبره معارضاً للذساتير ، على أساس إن الحرية الكاملة التي يقوم عليها قامت على حالة من الفوضى والغرور حتى بات كل فرد يمتلك دستوره الخاص ويعتقد بقدرته على عمل كل شئ ، تأسيساً على ذلك أعلن إفلاطون رفضه لشكل الحكم الديمقراطي وقدم شكل الحكم الفكروقرراطي كبديل أفضل وكشكل كامل من أشكال الحكم وذلك في كتابه الجمهورية" (محمود وذكرى، : :).

وفي سياق عرضه للتطور المنطقي للنظام الفكروقرراطي فقد صنّفه بأنه أرقى أشكال الحكم القائمة على عناصر العدل والمعرفة ، في حين عد الديمقراطية في المرتبة الأخيرة من النظم الفاسدة وهي المرحلة التي تسبق المرحلة الإستبدادية مباشرة وبذلك بالنسبة لإفلاطون فإن الحكم الديمقراطي يسبقه مباشرة بالمرتبة. وعلى الرغم من أنه يجعل الحكومة التيموقراطية والحكومة إلوليغارشية أيضاً ضمن الحكومات الفاسدة إلا أنه يجعلها في مرتبة أفضل وأرقى من الحكومة الديمقراطية. (إفلاطون، الجمهورية، بلا تاريخ: :).

ثالثاً: جمهورية إفلاطون

هي مدينة بناها إفلاطون من نصب خياله ليوفر لسكانها القليلون السعادة وأفرادها بحيث لا يستحيل عليهم التعارف وكل شئ فيه رهن الفائدة العامة ولهذا فالدولة تتصرف تمام التصرف في الفرد وعمله وطبقته وتتكون المدينة من ثلاث طبقات : طبقة الأوصياء والمقاتلين والزراع وهم يعملون للدولة كما تعمل الأعضاء للجسم كل يقوم بوظيفته الخاصة ولا يضمن الصحة للجسم إلا تقسيم هذا العمل بين أعضائه كما لا يضمن السعادة للدولة إلا قيام كل طبقة من الطبقات الثلاث بالواجب الملقى على عاتقها ونلاحظ أن الطبقات تتبع في تقييمها أنواع الروح المذكورة.

والإمتلاك والزواج مباح في طبقة الزراع وهو محرم في الطبقتين الأخرتين ولعل الباحث على ذلك هو شدة إهتمامه بهاتين الطبقتين اللتين تضع إحداهما للأخرى دستوراً وتكفل لها حريتها

وتبحث لها عن خير الوسائل لإسعادها وتدافع الأخرى عنها وتكفيها شر غائلة العدو.
(إفلاطون، : :).

أراد إفلاطون أن يؤسس دولة مثالية وليست طوباوية بل دولة تامة أو كاملة وقد طرح إذ فكر في قيام دولة فاضلة يكون أساسها الإستقرار وكان لإلاستقرار مطلباً طبيعياً لفيلسوف محب للتأمل بحدوثه وأما ذلك الهدوء الذي طالما افتقده نتيجة الحروب البلوبونيزية الطويلة التي عاشها مع بلاده فبدأ لهذا السبب رحلته المعروفة عن الإستقرار وكانت أول محطاته كتابه الجمهورية بكل ما حملته من مواصفات الدولة المستقرة والموحدة. (أرسطو، : :).

وكان طريق الهدف هو تربية خاصة يمكن إن ينشأ عنها رجال يكونون أهلاً لتولي زمام الحكم. (جيروم، :)

ويمكن عرض الخصائص العامة للفكر الإستراتيجي لإفلاطون في إنشاء جمهوريته كالاتي:

١- إستراتيجية إختيار حكام الجمهورية

٢- جيوبولتيك الجمهورية

٣- سمات مواطني الجمهورية

والاتي شرح لاهم مقومات هذه الخصائص:

١- إستراتيجية إختيار حكام الجمهورية

يرى إفلاطون أن الحاكم هو ظل الله في الأرض وإذا كان الناس على دين حكامهم فإن الحاكم يجب إن يكون مثالا للعلم والفضيلة (جيروم،) حتى يكون الشعب بدوره كذلك وعليه دعا إفلاطون إلى حكم الفلاسفة إذ يؤكد بأنه " لاتزال تعاسة الدولة وشقاء النوع الإنساني ما لم يملك الفلاسفة ويتفلسف الملوك والحكام فلسفة صحيحة تامة أي ما لم تتحد القوتان السياسية والفلسفية في شخص واحد" (إفلاطون، الجمهورية، بلاتاريخ،) ويؤكد بأن صاحب الكفاءة لا يؤهل للحكم ارتجالاً بل تؤهله إلامتحانات والبراهين التي يخضع لها. كذلك فقد جاء رأي إفلاطون ليتولى الحكم فيلسوفا متأثراً برأي سقراط بان الفضيلة هي المعرفة وأشار بأن الناس بحاجة إلى هدي إنسان حكيم مثلما كانوا بحاجة دوماً إلى النور لأن "الحكم الصالح هو الوسيط بين الحقيقة المقدسة للفكرة وبين الناس" (مزبان، :)

ويمكن للباحثة من خلال الدراسة السابقة استنتاج السمات الاستراتيجية التي حددها افلاطون للحاكم كالاتي:-

-- الامام بالعلوم النظرية والتطبيقية-

ب- فلسفي النزعة عظيم الحماسة سريع التنفيذ شديد المراس

ج- محبا للمعرفة صادقا شجاعا زاهدا عادلا.

د- ذا مدارك سامية وحرية في الفكر وسرعة الخاطرة والذاكرة الغذة

هـ- ذا فكرة موسيقية متزنه

و- القيام بمهام تنوير الشعب بالعلم لذي حصلوا عليه ونشر العدالة المادية والحيلولة دون انتشار البدع في الفن والدين

٢- جيوبولتيك الجمهورية

اراد افلاطون من دولته ان تكون في اقليم محدود الرقعة ومعزولة عن بقية الدول (محمود، :) ولم يفضل ان تكون جانب البحر لانه "يملئ المدينة بتجار الجملة والاقطاعيين والمتحولين من الباعة وينمي في النفس عادات التمايل وعدم الثقة وهكذا يجعل الجماعة شيئاً ليس له في اعماق نفسه قدر من الصداقة والثقة وليس له بالمثل قدر من ذلك حيال المجتمع بوجه عام" (افلاطون، القوانين: :)

وترى الباحثة ان من اسباب تلك الرؤية الاستراتيجية لموقع الجمهورية هو ان اثينا كانت مركزا تجاريا بحريا وارادت توسيع نشاطها التجاري البحري فتقابلت مع اسبارطة التي كانت القوة الثانية في بلاد اليونان لكن قوا كانت تقوم على النشاط التجاري البري والتي وجدت ان رغبة اثينا في توسيع نشاطها التجاري البحري سيؤثر سلبا على نشاطها البري وعليه نشأت بينهما الحرب البلوبونيزية .

٣- سمات مواطني الجمهورية

اشار افلاطون ان عدد سكان الجمهورية يجب ان لايتعدى الاربعة الاف وخمسين فردا ليحموا انفسهم من عدوان الجماعات على دولتهم. (افلاطون، الجمهورية: .) في ذات الوقت فانه يؤكد على اهمية بناء النظام الفكري للأفراد الذي يؤدي الى الحصول على سمة الفضيلة والذي يكمن في "التربية الصحيحة والسياسة الانسانية الرشيدة القادرة معا على خلق المجتمع الفاضل القائم على اسس الخير والحق والجمال" (افلاطون، القوانين: :) ويؤكد افلاطون على التوافق الفلسفي داخل وخارج الجمهورية ويقصد به "التماثل في الاخلاق ووحدة الرغبات وهذه المهمة لايمكن للدولة ان تحققها دون الاستعانة بافرادها الصالحين، لان ائتلاف جماعة صغيرة من الناس يشتركون في اراء واحدة يجعل منهم القلب النابض في المجتمع الجديد" (الاهواني، - :) .

المبحث الثاني الفارابي والمدينة الفاضلة

شرح الفارابي كتب أرسطو، وكتب في مجالات كثيرة من أبرزها المنطق والموسيقا، والميتافيزيقيا، والفيزيقيا، والسياسة، وكان أثره كبيرا جدا في الفلاسفة العرب المسلمين من بعده وبخاصة ابن سينا، كما إن أثره في الفلسفة الأوروبية لا ينكر. وللفارابي مؤلفات عدة أبرزها إحصاء العلوم، وأراء أهل المدينة الفاضلة، وكتاب تحصيل السعادة. يتضمن المبحث ثلاث فقرات الأولى تتعلق بحياة وعصر الفارابي، أما الفقرة الثانية فتتعلق بالفلسفة السياسية للفارابي في حين تختص الثالثة بدراسة خصائص المدينة الفاضلة.

أولاً: حياته وعصره

أبو نصر محمد الفارابي ولد عام : هـ / : م في فاراب وهي مدينة في بلاد ما وراء النهر وهي جزء مما يعرف اليوم بتركستين وتوفي عام هـ / فيلسوف أتقن العلوم الحكيمية، وبرع في العلوم الرياضية، زكي النفس، قوي الذكاء، متجنباً عن الدنيا، مقتنعاً منها بما يقوم بأودده، يسير سيرة الفلاسفة المتقدمين، وكانت له قوة في صناعة الطب وعلم بالأمور الكلية منها. (تركي، :)

جاء ألى بغداد وهو في سن الأربعين، تنقل بين مصر وسوريا وحلب وأقام في بلاط سيف الدولة الحمادي ثم ذهب لدمشق وبقي فيها حتى وفاته عن عمر عاماً ووضع عدة مصنفات وكان أشهرها كتاب حصر فيه أنواع وأصناف العلوم ويحمل هذا الكتاب إحصاء العلوم. سمي الفارابي "المعلم الثاني" نسبة للمعلم الأول أرسطو والإطلاق بسبب إهتمامه بالمنطق لأن الفارابي هو شارح مؤلفات أرسطو المنطقية. (العاني، :)

عاش الفارابي في عصر بدأ فيه تفكك الدولة العربية الأخلاقية، فهو يبرز في مؤلفاته أثر الفلسفة والدين في النظرية السياسية والأخلاقية، ويقرر أن العلاقة قوية بين مفهوم الأخلاق الذي هو الكمال الذي ينبغي على الإنسان أن يبلغه من خلال المعرفة العقلانية، وبين الأوضاع الاجتماعية والسياسية التي يعيش في أطرها هذا الإنسان. (الموسوعة الفلسفية، :)

وينطلق الفارابي في مؤلفاته من رغبته بالجمع بين المفاهيم الفلسفية والسبل العملية لتحقيق هذه المفاهيم، والفيلسوف في رأيه هو من يجمع الفضائل العملية ألى الفضائل النظرية. وقد جسد الفارابي هذا المنطلق في كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة الذي يلخص فلسفته بشقيها العملي والنظري، وعرض فيه كل شيء يهتم الوجود الإنساني ويساعده على تحقيق غايته في الوجود وهي بلوغ الكمال، فابتدأ بالكلام عن الإلهيات وإنواع الوجود ومراتبه، ونظرية المعرفة، والفيض والإشراق، والسعادة، والسياسة. (العاني، المصدر السابق: .)

ثانياً: الفلسفة السياسية للفارابي

وأبو نصر الفارابي واحد من الفلاسفة الذين تكلفوا عناء التفكير والتفلسف في مسعى لوضع الأسس والتصورات الكفيلة بتحقيق السعادة للمجتمع الذي يتكون من الرئيس والمواطنين ومراتب الرئاسة المختلفة في إطار مجتمع المدينة الواحد، وفق تصور فلسفي مثالي مستمد في جانب كبير منه من التصورات الفلسفية للفلاسفة اليونان، خصوصاً (إفلاطون و أرسطو) ومن الشريعة الإسلامية، لينتهي بعد ذلك ألى وضع تصور فلسفي أخلاقي للعلم السياسي الذي يكون قادراً على تحقيق السعادة لمجتمع المدينة الفاضلة. (المصدر السابق:)

وعليه فثمة رابط بين الأخلاق والسياسة في فلسفة الفارابي السياسية إنطلاقاً من نظريته لأخلاق الإنسان بوصفه كائناً مدنياً، أخذين بنظر الاعتبار هيمنة الأفكار السياسية على فلسفته، والدليل على ذلك إننا نقع على مجموعة من المؤلفات السياسية لديه أبرزها: "السياسة المدنية" " (ء أهل المدينة الفاضلة ") "تحصيل السعادة" ، والفارابي كما نظر

البعض إليه من " أشد الفلاسفة المسلمين عناية بالسياسة رغم أنه لم يشارك فيها أدنى مشاركة " (بدوي ، موسوعة الفلسفة ، (:) .) .

يحدد الفارابي غاية الفلسفة السياسية بأنها : سياسة أخلاقية في المقام الأول . من هنا كانت المهمة الرئيسة للعلم المدني هي مهمة البحث عن كمال الأفعال الحسنة، كالخير ، والفضائل التي تمكن الإنسان من إقتراب من الكمال ، بخلاف لإفعال القبيحة التي تعيقه من تحقيق ذلك ، وعليه يكون العلم السياسي هو : " علم لإاشياء التي بوساطتها يتوصل سكان المدن إلى السعادة بفضل المجتمع المدني " لذا يولي الفارابي أهمية كبيرة للاجتماع المدني بإعتبره السبيل الموصل للسعادة .

والفلسفة السياسية أو العلم المدني عند الفارابي تتنوع لإأنواع لإفعال والشرائع لإدارية والملكات وإلأخلاق والسجايا والشيم التي تنجم عنها الأفعال، وإلأغيات التي من أجلها تفعل الأفعال طبقاً لقوله بأن العلم المدني هو الذي " يفحص عن أصناف الأفعال والسبب الإرادية وعن الأخلاق والسجايا والشيم التي عنها تكون تلك الأفعال والسنة ، وعن الغايات التي لأجلها تفعل ، وكيف ينبغي إن تكون موجودة في الإنسان " (الفارابي ، أبو نصر ، السياسة المدنية، (:) .

ولما كانت السعادة هي الغاية المنشودة لفلسفته السياسية ، فقد تناول كل ما من شأنه أن يكون على علاقة بسعادة الإنسان ، فأصبح العلم المدني لديه يعنى بالمبادئ والأولوية والنظريات الإلهية نظراً للصلة التي تربطها بسعادة الإنسان ، أما السعادة في أعلى درجتها فلا يتوقف تحصيلها على أفعال الإنسان فحسب ، وإنما على آرائه أيضاً من هنا إنفرد كتاب الفارابي " مباح : أهل المدينة الفاضلة " في إبراز لإراء التي يتعين على أهل المدينة الفاضلة لإأخذ بها حتى يصلوا إلى السعادة التي هي الكمال النظري الذي لا يوجد إلا في لإذهاب النفوس فحسب.

ثالثاً : خصائص المدينة الفاضلة

وضح الفارابي الكثير من الخصائص للمدينة الفاضلة وسيتم طرح ثلاث خصائص رئيسية موضوع البحث والدراسة وهي :

- ١- إستراتيجية إختيار رئيس المدينة الفاضلة.
- ٢- خصائص رئيس المدينة الفاضلة.
- ٣- خصائص أفراد المدينة الفاضلة.

١- إستراتيجية إختيار رئيس المدينة الفاضلة

يولي الفارابي للرئيس أهمية كبيرة في مجتمع المدينة، فمنزلته من المدينة أشبه ما تكون بمنزلة القلب من البدن، فكما إن القلب هو العضو الرئيس في البدن فإن الرئيس هو العضو الرئيس في المدينة (الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص) ، ووفقاً لهذه النظرة ينفي الفارابي مسألة إنتخاب الرئيس من قبل أعضاء المدينة، أو القول بأسبقية لإاجتماع المدني على وجود الرئيس ، كما ينفي إمكانية قيام مجتمع مدني عن طريق اتفاق أعضائه في إنتخاب رئيس لهم يدبر لهم شؤونهم ، وهكذا هو الحال في تحديد العلاقة بين الرئيس والناس وسائر أجزاء المدينة عموماً :

وليس يمكن إن يكون رئيس المدينة الفاضلة أي إنسان ، فللرئاسة شروط ينبغي إن تتوفر في الرئيس: "الرئاسة إنما تكون بشيئين : أحدهما إن يكون بالفطرة وبالطبع معدا لها ، والثاني بالهيئة والملكية الإرادية .. والرياسة لمن فطر بالطبع معدا لها ، فليس كل صناعة يمكن إن يرأس بها ، بل أكثر الصنائع صنائع يخدم بها في المدينة ، وأكثر الفطر هي فطر الخدمة .. كذلك الرئيس الأول للمدينة الفاضلة ينبغي إن تكون صناعته صناعة لا يمكن إن يخدم بها أصلا ، ولا يمكن فيها إن ترأسها صناعة أخرى أصلا " .
(المصدر السابق ، ص " . " .) .

والرئيس ليس هو من لا يملك القدرة على إرشاد وأنهاض غيره ، فهذا يكون مرؤوسا وفي كل شيء ، فالرئيس : "من كانت له قوة على إنبشاد غيره الى شيء ما يحمله عليه أو يستعمله فيه، فهو رئيس في ذلك الشيء على الذي ليس يمكنه إن يفعل ذلك الشيء من تلقاء نفسه " (الفارابي، السياسة المدنية ، :) ، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على ضرورة توفر لإستعداد والموهبة للرياسة بشكل فطري في الرئيس .

من ناحية أخرى هنالك رئاسات يكون فيها الرئيس مرؤوسا لرئيس آخر وفق تسلسل تراتبي ، باستثناء الرئيس الأول الذي لا يحتاج ولا في شيء إن يرأسه إنسان ، الأمر الذي يستدعي إن تكون العلوم والمعارف لديه حاصلت بالفعل ولا حاجة به إن يرشده غيره في شيء ، وتكون له قدرة على إدراك شيء مما ينبغي إن يعمل من الجزئيات ، وقوة على جودة إرشاد لكل من سواه الى كل ما يعلمه ويكون لديه قدرة على تقدير الأعمال وتحديدها وتسديدها نحو السعادة وهذا لا يكون على حمله قوله إلا : " في أهل الطبائع العظيمة الفائقة إذا اتصلت نفسه بالعقل الفعال " (الفارابي، المصدر السابق،) ... وينتج من ذلك إن الناس الذين هم برون برئاسة هذا الرئيس هم الناس الفاضلون والإختيار السعداء ، فإن كانوا أمم فتلك هي "الامة الفاضلة"، وإن كانوا إناسا مجتمعين في مسكن واحد يجمع جميع من تحت هذه الرئاسة فهي "المدينة الفاضلة" أما من كانوا في مساكن متفرقة يلازم أهلها برئاسات أخرى غير هذه كانوا إناسا أفاضل يعرض تفرقهم لأسباب متعددة، إما أنه لم تتفق لهم بعد مدينة يجتمعون فيها ، أو أنهم كانوا في مدينة عرضت لها آفات من عدو أو وباء أو جذب أو غير ذلك فاضطروا الى التفرق .

٢- خصائص رئيس المدينة الفاضلة

ينبغي لرئيس المدينة الفاضلة حيازة اثنتي عشرة خصلة تكون قد اجتمعت فيه بالطبع ويكون قد فطر عليها ، بالإضافة الى توفر ستة شروط أخرى مكتسبة لكنها لازمة (الفارابي ، آراء أهل المدينة الفاضلة ، -) .

الخصلة الأولى: أن يكون سليم البدن ، تام لإعضاء بحيث تكون قواه مؤاتية أعضائها على الأعمال التي شأها إن تكون بها ، ومتى هم بعضو ما من أعضائه عملا يكون به ، فأتى عليه بسهولة .. ناهيك عن إن الرئيس صورة عن العقل الفعال وعلى علاقة ولتصال بالسبب الأول،

الموجود الكامل ، واجب الوجود ، المنزه عن كل نقص وإعتلال ، فلا يجوز أن يعتريه النقص والإعتلال .

الخصلة الثانية: إن يكون بالطبع جهد الفهم والتبصير لكل ما يقال له فيلقاه بفهمه على نحو ما يقصده القائل ، وعلى حسب الأمر في نفسه ووجود هذه الخصلة في الرئيس تملئها الضرورة لتلاؤم يخطئ في فهم الآخرين فيخطئ في التبادير التي يلجأ إليها ، من هنا يعبد الفهم الصحيح والقدرة على تفسير العالم والأشياء الموجودة فيه بما فيها العلاقات الاجتماعية أحد أهم الشروط التي تقوم عليها نظرية المعرفة ، حتى يتسنى التأثير فيه تأثيراً إيجابياً يأخذ بنظر الاعتبار الخصائص الذاتية والموضوعية للعالم والمجتمع والأشياء ، ويجول دون الوقوع في الخطأ والضلال .

الخصلة الثالثة : إن يكون جيد الحفظ لما يفهمه وما يراه وما يسمعه وما يدركه ، وفي الجملة لا يكاد ينساه وهذا يتطلب وجود جملة عصبية سليمة ومعافاة، والغاية من وجود هذه الخصلة، هي حتى يكون الرئيس على بينة في تدبر القضايا والإحكام فلا يقع في الزلل .

الخصلة الرابعة : إن يكون جهد الفطنة ذكياً، إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دلَّ عليها الدليل. وهذه خصلة أساسية في الخصال الواجب إن يتمتع بها الرئيس فيكون جيد التذكر والإنتباه ، ليبدأ ذو حاسة مرهفة تمكنه من الوصول الى الشيء بأقل الأدلة .

الخصلة الخامسة : إن يكون حسن العبارة ، يؤتيه لسأته على إبانة كل ما يضره إبانة تامة ، وهذا يعني تطابق اللفظة مع الفكرة تطابقاً تاماً حتى لا يقع التباس في التعبير والإبانة، لأن من يخونه اللسان عن حسن نية ، يفتح الباب للتأويل الخاطئ لما يقال .

الخصلة السادسة: إن يكون محباً للتعليم والاستفادة، منقاداً له سهل القبول، لا يؤلمه تعب التعليم، ولا يؤذيه الكد الذي ينال منه ، لأن العلم زاد المعرفة والمعرفة نور الحق الذي لا ينطفئ ، وبالعلم تهذب النفوس وتصفوا . وبالتالي يكون الرئيس على درجة من العلم والمعرفة تمكنه من حل جميع القضايا والمشكلات التي تواجهه بالمنطق والعقل والحوار ، وتفادي اللجوء الى العنف وسفك الدماء وما شاكل ذلك .

الخصلة السابعة : إن يكون غير شره في المأكل والمشروب ، . لإن الإسراف في طلب تلك الأمور من شأنها أن يصرف الرئيس عن تدبر أمور الرعية ويفقده مكانته ومهابته .

الخصلة الثامنة : إن يكون محباً للصدق وأهله ، مبغضاً للكذب وأهله . الأمر الذي يكسبه ثقة الجمهور ومحبته ، ويزرع المهابة في نفوس مواطنيه جميعاً .

الخصلة التاسعة : إن يكون كبير النفس ، محباً للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع إلا لرفع منها ، وهي نقطة جوهرية كون الرئيس مثلاً أعلى للرعية يتباهون به ويقتفون أثره فإن هانت عليه كرامته ستجد أصداء لها في نفوسهم ، وإن عففت عليه نفسه وكان الكرامة عنوان شخصيته ستجد تجلياً لها في كرامتهم طبقاً للمثل الشائع " أخلاق الرعية من الراعي " .

الخصلة العاشرة : إن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده ، وهذا تكريس للعادات والأخلاق المتوارثة منذ القدم ، كعادات الكرم والسبحاء ، والإيثار ، وغيرها، حتى إذا

عمّ هذا المبدأ لم يعد للسحت مكاناً في الإمامة ، ولم يعد أحد محتاج فيها فيتحقق بذلك التآزر الاجتماعي وإلّا من وإلّا استقرار للجميع .

الخصلة الحادية عشرة : إن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله ، ومبغضاً للجرور وأهلها ، ثم إن يكون عدلاً غير صعب القياد ولا جموحاً ولا لجوحاً إذا دعى إلى العدل ، بل صعب القياد إذا دعى إلى الجور وإلى القبيح . فالعدل خير والخير مجلبة للسعادة ، والجور ظلم ، والظلم مجلبة للشر والشر مجلبة للظلم .

الخصلة الثانية عشرة : إن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي إن يفعل جسوراً عليه ، مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس .

٣- خصائص الأفراد في المدينة الفاضلة

حدد الفارابي غاية الفلسفة السياسية في المدينة الفاضلة وهو إن يبلغ الأفراد غاية السعادة وتحصيلها، ووضع كل ما عداها في خدمة لإنسان للوصول إليها، وفي مقدمة ذلك السياسة. فكل موجود في رأي الفارابي "إنما كوّن ليبلغ أقصى الكمال الذي له إن يبلغه بحسب رتبته في الوجود الذي يخصه، فالذي للإنسان من هذا هو المخصوص باسم السعادة القصوى" (محمد، :) فكمال الإنسان الذي خلق من أجل إن يبلغه بحسب مرتبته في الوجود الكوني هو السعادة، وسعي الإنسان نحو الكمال هو غاية وجوده، ولما كانت السعادة قبيل الكمال، أو كإنت هي ، فقد اقتضى إن تكون السعادة غاية في ذاتها لا تطلب غيرها.

وسبيل الإنسان في تحصيل الكمال أو السعادة إنما هو العقل الذي هو آتته في اكتساب المعارف والخبرات وفي الابتعاد عن الجهل والشرور، فيكون بذلك كماله الذي هو عين السعادة.

ولا يخرج هذا المفهوم عن إطار المعرفي العام في الحضارة العربية الإسلامية وتحديد مفهوم الإنسان صاحب السعادة، فالإنسان يتشكل من عرض وجوهر، عرض بالجسد وجوهر بالنفس، والإنسان إنسان بالنفس لا بالجسد، لأن النفس متصلة بالعقل الأول وبالنفخة الإلهية الصادرة عن واجب الوجود، وهي بعناصرها تمثل العالم العلوي والوجود الأول في أعلى مراتبه لأنها جزء منه، على حين إن الجسد جزء من العالم السفلي ويمثله بعناصره وهو شبيه به.

ولكن النفس في الإنسان جوهر موجود بالقوة، ولا يتحقق وجوده بالفعل إلا بمعونة العقل أداة المعرفة التي هي الشرط الأول في التمييز بين الجميل والقبيح. وسعي الإنسان إلى هذه المعرفة التي لا بد منها في نقل جوهره من القوة إلى الفعل هو هدفه، لأنه سبيل إدراكه الكمال. فسعي الإنسان إلى معرفة النفس بعد معرفة الكون ليست معرفة لذاتها وإنما ترمي إلى معرفة الواحد الإلهي الذي وجد بفضل نوره كل شيء. وهذا السعي في الفكر العربي الإسلامي هو مرتبة من مراتب السعادة، والوصول إلى الكمال هو عين السعادة التي يصفها الفارابي بقوله : "هي إن تصير نفس الإنسان من الكمال في أعلى حيث لا تحتاج في قوامه إلى مادة، وذلك إن تصير في جملة الأشياء البريئة عن الأجسام، وفي جملة الجواهر المفارقة للمواد، وإن تبقى على تلك الحال دائماً أبداً" (الفارابي، تحصيل السعادة: ()). وعلى هذا فالسعادة هي "الخير

المطلوب لذاته، وليس يطلب أصلا ولا في وقت من الأوقات بما شيء آخر، وليس وراءها شيء آخر يمكن إن يناله الإنسان أعظم منها" (المصدر السابق،) () وينبه الفارابي على إن بحث الإنسان عن السعادة ليس وهمًا مثاليًا، ففي الإنسان قدرة بما "يفعل الأفعال الجميلة، ويعينها يفعل الأفعال القبيحة" (المصدر السابق،) () فهي قدرة على الفعل أيًا كيان، والإنسان بذلك مختار، وهو صانع أفعاله، إلا إن عليه إن يدرّب على فعل الجميل. والتدريب على فعل الجميل هو صلة الوصل بين السعادة هدف الفلسفة وبين السياسة ومفهوم المدينة الفاضلة عند الفارابي. فهو يبين في آراء أهل المدينة الفاضلة إن الإنسان محتاج في سعيه إلى الكمال، وفي طلبه السعادة، إلى أمور كثيرة لا يمكنه القيام بها وحده، ولذلك فقد كيان لا بد له من إلتتماع، ولا يمكن للإنسان إن ينال الكمال "الذي لأجله جعلت له الفطرة الطبيعية إلا بالتتماع جماعات كثيرة متعاونين، يقوم كل واحد لكل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه، فيلتتماع مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد جميع ما يحتاج إليه في قوامه وفي إن يبلغ الكمال" (الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة، .) . وكما اتسع إلتتماع كيان أقدر على خدمة الإنسان في بلوغ الكمال، "فالخير إلتفاضل والكمال إلتقصي إنما ينال أولاً بالمدينة لا بإلتتماع الذي هو أنقص منها" (المصدر السابق،) () . إلا أنه قد يحدث إن يتعاون أهل المدينة على الشر، إن القدرة على فعل الخير أو الشر كامنة بإلتختيار وإرادة في الإنسان، وإذا كان الأمر كذلك فقد أمكن إن يجعل المدينة للتعاون على بلوغ بعض الغايات التي هي شرور، ولذلك كل مدينة يمكن إن ينال بها السعادة كما ينال بها الشقاء. والمدينة التي يقصد بإلتتماع فيها التعاون على إلتشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة هي المدينة الفاضلة" (الفارابي، آراء أهل المدينة الفاضلة،) () .

الخاتمة

من خلال البحث الذي تم عرضه علاه يمكن التوصل إلى الاستنتاجات الآتية:

- قدم إلتاطون تصويًا مثاليًا لتأسيس مدينة مثالية علمًا وإلتاخلاقًا وحكمًا أطلق عليها (الجمهورية) وأن يكون حاكمها فيلسوفًا محبًا للعلم، قويا وعادلاً . ورفض نظام الحكم الديمقراطي وأثنى على حكم الفلاسفة.

- وضح إلتاطون نظامًا للتشقة الاجتماعية يقوم على العلم والمعرفة وعلى امتلاك الأفراد لنظام إلتخلاقى فريد.

- حدد إلتاطون الأسس الجغرافية للجمهورية وأكد على ضرورة قلة عدد سكانها .

- وبعد مدة من الزمن أعاد الفارابي إلتحيااء أفكار إلتاطون بطرحه فكرة المدينة الفاضلة والقائمة على أسس العدل والعقل وإن تكون غايتها الأساسية هي تحقيق السعادة والرعاية الدائمة.

- ووضح الفارابي الخصائص الواجب توفرها في حكام وإفراد المدينة وهي لا تختلف كثيرًا عن الخصائص التي طرحها إلتاطون.

- إن المحاولة لأنشاء جمهورية أو مدينة فاضلة وأن كانت بشكل فكري إلا إن الكثير من الدول المعاصرة تنشده تطبيقها ولو بصورة نسبية فقد خطت خطوات كبيرة في تطبيق المبدأ استعانة بالأفكار الإستراتيجية للحكيم بوذا وكونفوشيوس. وبالعودة إلى الدراسات المختلفة في الأزمان المختلفة ومقارنتها بارض الواقع نجد محاولات الإنسانية في تطبيق مبادئ العقل والعلم والعدل وصولًا إلى السعادة قائمة وتكون السياسة والإستراتيجية معا في خدمة المبدأ.

أكد الفلاسفة على مبادئ الحق والعدل التي تكون داعمة لفكرة السعادة والتي نادي بها العديد من المفكرين والسياسيين والفلاسفة على اختلاف الأزمنة والأماكن ، فقد تعاقب تكرار الأفكار الواردة لافلاطون والفارابي لاحقا فقد جاءت واضحة في مؤلفات جون لوك عندما نشر مؤلفه المشهور (مقالة في العقل البشري) فيرى ان غاية عقد الدولة هو تحقيق السعادة لأفرادها عن طريق نش الفضيلة ، وتأثر بهذه الآراء كل من فولتير وجان جاك روسو ، وجاء رينيه ديكارت بأفكاره التي وضعت كل شيء موضع الشك حتى وضع قواعده في البحث عن الفضيلة في دولة الفضيلة التي تقوم على معرفة يقينية بكل ما ينفع الحياة ، كما كانت قواعد ديكارت للبحث عن السعادة المجتمعية أساسا للتربية الحديثة التي تدف الى تدريب العقل على التفكير المنظم الحر .

وبذلك يكون البحث اعلاه قد أكد على امكانية تطبيق فرضيته القائلة (ان التركيز على خصائص البناء السياسي والثقافي القائم على الاسس العقلية والعلمية الفلسفية يؤدي الى تكوين مجتمع مثالي وبالتالي الى بناء دولة مثالية). بشرط توفر عنصر الايمان بالذات وبقدرة العلم والفكر على بناء دول فاضلة دول تعيش السلام الداخلي للأفراد وتنطلق في خدمة الانسانية ببناء فكري وعقلي مشترك قائم على الحق والفضيلة. فاذا كان عقل الانسان هو محور السياسة فليكن هناك اساس تجريبي يقوم على تحرير ذلك العقل من قيود الانعزال والانغلاق الفكري والحضاري ، لان فضائل الامم تبني بسياسات العلم والاخلاق.

المصادر

المصادر باللغة العربية

- 1- ابو نصر الفارابي، احصاء العلوم ، صححه ودقق طبعه عثمان محمد امين، (مصر، مطبعة السعادة)
- 2- ابو نصر الفارابي ، اهل المدينة الفاضلة، تح/فالح الخالدي، (دمشق، مطبعة العلوم)، بدون تاريخ.
- 3- الفارابي، كتاب تحصيل السعادة، تح/ - جعفر آل ياسين، (بيروت، مكتبة الحكمة) () .
- 4- الفارابي ، أهل المدينة الفاضلة، تح/ إبراهيم جزيني، (بيروت، مكتبة انطوان) ، بدون تاريخ.
- 5- الفارابي، السياسة المدنية، تحقيق فوزي النجار، (بيروت، مكتبة بيروت)
- 6- ارسطو ، دعوة للفلسفة ، قدمه للعربية مع تعليقات وشروح عبد الغفار مكاوي (بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع)
- 7- افلاطون ، الجمهورية، ترجمة حنا خياز، (بيروت ، دار الاعسم)
- 8- افلاطون ، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، راجعها عن الاصل اليوناني محمد سليم سالم، (القاهرة، المؤسسة العربية للتأليف والنشر، د. .)، بلا تاريخ.
- 9- افلاطون، القوانين، ترجمة حنا خياز، (بيروت ، دار الاعسم) () - افلاطون ، الضروري في السياسة - مختصر كتاب السياسة لافلاطون - نقله عن العربية الى العربية د. احمد شعلان، (بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية) ()
- 10- الاهواني . احمد فؤاد، افلاطون وجمهورية الاخلاق، (الكويت، مكتبة الراشد)
- 11- بدوي ، عبد الرحمن ، موسوعة الفلسفة ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت) () ، الطبعة الأولى ،
- 12- تركي، ابراهيم محمد ، الفلسفة والفلاسفة في المشرق الإسلامي، (القاهرة ، دار الكتب القانونية)
- 13- غيث . - جيروم، افلاطون وفلسفته، (عمان ، مطبعة الرند)
- 14- زكريا فؤاد ، جمهورية افلاطون ، مراجعة محمد سليم سالم، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر)، بلا تاريخ.
- 15- سباين . جورج، تطور الفكر السياسي ، ترجمة حسن جلال العروسي، تصدير عبد الرزاق احمد السنهوري، وتقديم د. عثمان خليل احمد، (القاهرة، مطبعة مدبولي) ()
- 16- علي ، عبد اللطيف احمد، التاريخ اليوناني، (عمان ، دار الوليد)
- 17- العاني، ابراهيم ، في فلسفة الفارابي، (بغداد، دار الحرية للطباعة)
- 18- مزبان. طه جزاع، الفكر السياسي في فلسفة افلاطون ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الاداب جامعة بغداد قسم الفلسفة،
- 19- محمود، عبد الحليم وذكرى . أبو بكر، الفلسفة اليونانية - اصولها وتطورها - (مصر، مكتبة عين شمس)
- 20- محمد، سامي الشيخ، التصور الفلسفي للمجتمع السياسي عند الفارابي، (الموصل، مكتبة الجامعة)
- 21- هامرتن ، جون ، تأريخ العالم ، ترجمة ادارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية). بلا تاريخ.
- 22- هاريس. روي و تاليوت ، تاليوت، الفكر اللساني الأغرقي، www.pdfactory.com ,

